١) فترة توجه المنفي

(أ) دمشق والكويت : عدم الاستقرار الحياتي ــ البحث عن تحديد ايديولوجي

أ ١) موت سرير رقم ١٢

تنعكس عن مراحل حياة غسان كنفاني مباشرة المراحل التي عاشها الشعب الفلسطيني . اولا الترحيل بالقوة ، وثانيا اقامة غير مستقرة في لبنان وسوريا . وكان غسان كنفاني قد بدأ سنة ١٩٥٢ وعمره ستة عشر عاما ، الحياة المهنية معلما في احد مخيمات اللاجئين في دمشق ، فرأى المصير الذي آل شعبه اليه ، واخذ يعي بنفسه ما وقع . لقد اعطته المرحلة الاولى هذه من حياته الفعالة في دمشق تجربة المنفي المرة، الا وهي : حياة التغرب في المخيم ، والشعور الشديد بعجز عدو اقام دون عناء في بيت او مدينة كانت للفلسطينيين دون ان يمكن تصديقه ضمن حقيقته الشرسة .

وبناء على ذلك ، سنقوم بتقديم عرض اولي للموضوعات الرئيسية التي طرحتها اعمال غسان كنفاني نسبة الى التطور التاريخي للتحرر الذي عبره الشعب الفلسطيني ومعه غسان كنفاني منذ هزيمة ١٩٤٨ حتى سنوات السبعين .

وأول موضوعه(٣٩) نعني بابرازها من خلال هذا التسلسل التاريخي هي **شعور المنفي المعذب الذي ينعطف الى الوراء** لحاجة فهمه الحقيقة . وقد عبرت عنها الثلاث قصص الاولى من مجموعة « سرير رقم ١٢ » ، المعنونة : ١ ــ البومة في غرفة بعيدة . ٢ ــ شيء لا يذهب . ٣ ــ منتصف أيار .

ما هي الصور الفنية(٤٠) التي تقابل هذا الشعور ؟ ان صورة القصة الاولى هي صورة **البومة** التي كان قد رآها البطل عند هزيمة ١٩٤٨ ، وهي تظهر بالوصف التالي: « كان يومض في عيونها ذلك الغضب المشوب بخوف غريب .. وبدت لي انها مصرة على وقوفها المتحدي ، وانها سوف تبقى رغم الرصاص والموت »(٤١).

يحتفظ البطل في حجرة المنفى بصورة فوتوغرافية للبومة ، وبما ان البومة طائر ليلي ، فهي تبعث على التدقيق ذكرى ماض معذب . وهكذا فان الصورة الفنية **للبومة في الليل** تعبر جماليا عن **شعور الذكرى المفجعة في ليل المنفى** .

اما صورة القصة الثانية فهي **الورود** التي يريد البطل وضعها على قبر عمر الخيام في طهران . وكانت حبيبته في حيفا قبل سقوط فلسطين ، قد اهدت له كتابا عن عمر الخيام ، آخر ما تبقى له من ماض سعيد بعد ان ماتت دفاعا عن الوطن : « لماذا اصر على الاحتفاظ بكتاب الخيام ؟ ان احدا لا يعرف الحقيقة ، تراني اريد من الكتاب ان يوهم الاخرين بأنني ما زلت مرتبطا بحيفا ؟ »(٤٢).

ان صورة **الورود على القبر** مثيرة بشكل خاص ، اذ تعبر عن دفن ماض سعيد دون التطلع نحو المستقبل . تتجه الرؤية هنا نحو الماضي ، وتبقى مشلولة امام تعاسة الحاضر الفاجعة .

لكن صورة القصة الثالثة باعثة اكثر على الحزن من سابقتيها : الا وهي **رسالة الى ميت** . فالبطل المنفي يكتب رسالة الى صديقه الذي مات خلال احداث ١٩٤٨ ، حيث تطغى ذكراه على الحاضر : « والسؤال الذي يجأر في راسي هو : لماذا اذكرك الان ، واكتب لك ؟ اما كان الاجدر بي ان استمر في صمتي ؟ »(٤٣) .

ويجدر بنا التذكير من جديد بالموضوعة الاساسية التي سبق لنا طرحها لهذه